عصمة الوحي   اليهودية وا سيحية والإسلام

قراءة   ا فهوم والأثر

أ.د. محمَّد بودبان

أستاذ محاضر في مقارنة الأديان

مدير مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة– الجزائر

* أنجزت هذه المقالة ضمن أشغال مشروع بحث **PRFU** بعنوان: " **تدوين النص الديني وأثره في عصمة الوحي– دراسة تاريخية تحليلية مقارنة بين التناخ والكتاب المقدس والقرآن الكريم–**" المعتمد ابتداءً من جانفي 2018م.

الملخص

هذا المقال يبحث في مسألة عصمة الوحي بشكلٍ متوزّعٍ بين الإسلام والمسيحة واليهودية، ببحث المفهوم الدِّيني في كلِّ ديانةٍ على حدى، ثم بيان الآثار المترتِّبة عليه، للوصول إلى ثمرة المقارنة المتعلِّقة بزوايا نظرنا كمسلمين.

الكمات المفتاحية: عصمة، وحي، الإسلام، اليهودية، المسيحية.

Abstract :

This article addresses the issue of the infallibility of revelation using a comparative manner between the three religions: Islam, Christianity and Judaism, first by examining the religious concept of the two terms in each religion separately, and then clarifying their different implications. all this to finally reach the conclusion of the comparison related to our point of view as Muslims.

Keywords: *infallibility, revelation, Islam, Judaism, Christianity.*

1. الوحي والعصمة في اللِّسان

1.1 الوحي:

في اللِّسان: الوحيُ: الإشارةُ والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفيُّ؛ وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك؛ والوَحِيُّ: السّريعُ، يقال موتٌ وَحِيٌّ. وأصل الوحي في اللغة كلِّها إعلامٌ في خفاءٍ. والعربُ تقولُ: أوحى ووَحَى؛ وأومى ووَمَى بمعنًى واحدٍ؛ ووحى يحِي، وومى

يمِي. وابن الأنباري في قولهم أنا مؤمنٌ بوحي الله قال: سمّي وحيا لأنَّ الملك أسرّه علـ الخلق، وخصّ به النبي صلـ الله عليه وسلّم[1].

عند اليهود عبَّر العبرانيُّون القدماء عن فكرة "التنزيل والوحي" بطرقٍ شدَّـ: بالصيغة المنعكسة للفعل[2] "جاله *galah*" والتي تعني: تكشَّف وتجلَّـ؛ والتي تُستعمل نادرًا وحصرًا للتعبير عن الوحي الإلهي؛ فالوحيُ في التقليد الكتابي يعني تجلِّي الرَّب المتواري عن الأنظار، المجهولِ لدى الإنسان، أكثرَ من كشف سرٍّ أو حلِّ لغزٍ. ومن دون ريبٍ ذلك ناتجٌ عن الاستعمال الواسع للصيغة المنعكسة للفعلين *raʿah* و*yada*: أرى وأعلَمَ، للتعبير عن الوحي والتنزيل. لفظةُ: "نيرأى *nirʿah*" بمعنى أظهر نفسَهُ وجعل نفسه مرئيًّا تعود في الأصل إلى التجلِّي المنظور للرَّب في مكانٍ مقدَّسٍ؛ يقع ذلك أساسًا في المقاطع السرديَّة التي كانت غايتُها بيان أصل المكان المقدَّس؛ في الواقع كثيرًا ما نُظر إلى الأماكن المقدَّسة كمَحَالٍّ تتَّخذها المعبودات، وكذلك الحال في الكتاب المقدَّس... والقدسية الخاصَّة لل: "**مذبح**" التي ميَّزت المكان اتَّضحت من أصله، تحديدًا: تجلِّي الرَّب للآباء... إنَّه نادرٌ –ولأشخاصٍ مخصوصين– أن يظهر الرَّبُّ للبشر ويكلِّمهم بمراده وغاياتِه كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى ومنوح وسليمان؛ ومع ذلك قد يُظهر نفسَهُ أمام الجميع في خيمة الاجتماع، كصورةٍ مستمرَّة عن الوحي في جبل سيناء؛ ومع ذلك ما يراه النَّاس هو: " كافود *the kavod* " أي: "حضور الرَّب" أو "عمود السحاب"؛ ويعني هذا الأخيرُ حضورَ الرَّب مع احتجابه عن الأنظار في الوقت عينِهِ. وفي بعض

---

1 – ابن منظور: **لسان العرب**، (دط) دار المعارف (دب)، (دت) (4787/6)؛ اسماعيل بن حمّاد الجوهري: **الصّحاح** تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ط3 دار العلم للملايين بيروت 1984 (2519/6)؛ مجد الدّين الفيروزآبادي: **بصائر ذوي التمييزفي لطائف الكتاب العزيز**؛ (دط) المكتبة العلمية، بيروت (دت) (177/5).

2 – لا أعرف كيف يمكن ترجمة مصطلح: "*The reflexive form* "، واتبعت في ذلك السائد ممَّا هو موجود على الشبكة، والمقصودُ به هو عود الفعل على المتحدِّث كقولك: *I show myself* فالفعل هنا في صيغة انعكاسية، و *myself* هو ضميرٌ انعكاسي. كما ضبطتُ المفردات العبرية بحسب التهجئة الإنجليزية المذكورة في المصدر لأنني لا أتقن النطق العبري.

النصوص يستخدم لفظ: "نودا *Noda*" التي تعني: "جعل نفسه معلومًا" والتي تستبعد الإيحاءات التجسيميَّة للجذر الذي يعني الرؤيةَ.[1].

وعند المسيحيّين: ذكروا أنّ لفظة موحًى به *Theopneutos* هي نفس اللّفظة التي يُعبَّر بها عن التنفس؛ فيكون معناها: متنفّس به، أو مستمِدٌ نَفَسَهُ من الله[2].

1. 2. العصمة:

في اللِّسان: عَصَمَ، يعصِمُ: اكتسب ومنع ووقى؛ والعصمةُ في كلام العرب: المنعُ؛ وعصمةُ الله عبدَهُ: أن يعصمه ممّا يوبقه؛ عصَمَه يعصِمُهُ عَصْمًا: منعه ووقاه. ويقال: "عصمه الطّعامَ" أي منعه من الجوع. والعصمةُ: الحفظُ؛ واعتصمت بالله: إذا امتنعتُ بلطفه من المعصية. والعاصِمُ" المانعُ الحامِي؛ والاعتصام: الامتساك بالشّيء؛ وعصم إليه اعتصم به، وأعصَمَهُ هيّأ له شيئًا يعتصم به. قال الزَّجَّاجُ: أصلُ العصمة الحبلُ، وكلُّ ما أمسَكَ شيئًا فقد عَصَمَهُ[3].

ولم أجد لهذه اللفظة – عند من اطلَّعت في كتبهم من المسيحيّين– من تحدّث عن اشتقاقها، غير أنّه يبدوا أنّها لها نفس المعنى اللغوي العربي، إذ قالوا: " صفةُ الطبيعة الكاملة التي لا تخطئ "[4] والأمر عينُهُ قبل ذلك في اليهودية.

2. المعاني الدِّينيَّة للوحي والعصمة

2. 1 الوحي:

عرّف ابن حجر الوحي شرعا بأنّه[5] " **الإعلامُ بالشّرع** " وهو تعريفٌ مختصرٌ دقيق؛ ثم قال[6]: " وقد يطلق الوحيُ ويراد به اسمُ المفعول، أي الموحَى به ". وعرّفه محمد

---

1 – ***Encyclopedia of Judaica***, (17/253) بتصرف

2 – نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: **قاموس الكتاب المقدس**، هيئة التّحرير: بطرس عبد الملك، جون ألكساندر طمسن، إبراهيم مطر، ط13، صادر عن دار مكتبة العائلة، القاهرة، وطبع بمطبعة الحرية بيروت لبنان 2000، ص 1020.

3 – **لسان العرب** (2976/4)؛ **الصّحاح** (1989/5)؛ **بصائر ذوي التمييز** (72/4).

4 – **معجم الإيمان المسيحي**، ص 329.

5 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**؛ (دط) بيت الأفكار الدّولية، عمّان الأردن (دت) (256/1).

6 – **فتح الباري** (256/1).

عبده في رسالة التوحيد[1] بعد تعريجه على تعريف النّاس له – بنحو تعريف ابن حجر وإنَّما بتفصيلٍ – فقال: " أمَّا نحن فنعرِّفه على شرطنا، بأنّه عرفانٌ يجده الشخص من نفسه، مع اليقين بأنّه من قبِلَ الله، بواسطةٍ أو بغير واسطةٍ. والأوّل بصوتٍ يتمثّل لسمعه، أو بغير صوتٍ ".

ثمّ قال: " ويُفرَّقُ بينه وبين الإلهام بأنَّ الإلهامَ: وجدانٌ تستيقنه النّفسُ، وتنساق إلى ما يَطلُب من غير شعورٍ منها من أين أتى؛ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ".

وقد ورد ذكرُ أنواع الوحي في قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ان يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ** ﴾[2]

قال الشيخ محمَّد رشيد رضا: " فالوحيُ هنا إلقاء المعنى في القلب؛ وقد يعبَّرُ عنه بالنَّفث في الرُّوعِ – وهو بالضّم: القلبُ، والخَلَدُ، والخَاطِرُ– والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلامَ الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام النِّداء من وراء الشَّجرة. وأمّا الثالث فهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله فيراه متمثّلا بصورة رجلٍ –أو غير متمثِّل– ويسمعه منه أو يعيه بقلبه"[3].

وقيل[4] ﴿ **وَحْيًا** ﴾: رؤيا يراها في منامه، وقيل بإرسال جبريل، ﴿ **أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾: كما كلَّم موسى؛ ﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا** ﴾: إلى النَّاس كافَّةً.

وبيَّن الشيخ محمَّد رشيد رضا[5] أنَّ للوحي معنيان: خاصٌّ وعامٌّ، فأمّا العام فيطلق على عدّة صورٍ من الإعلام الخفيّ الخاص الموافق لوضع اللغة؛ منها: الرّؤيا الصادقة والنّفث في الرّوع وإلقاء الملك. وأمّا الخاصُّ فهو أحد الأقسام الثلاثة للتكليم الإلهي المذكور في آية الشورى السابقة.

1 – محمّد عبده: **رسالة التّوحيد**، تقديم حسين يوسف الغزال (دط) دار إحياء العلوم، بيروت – لبنان 1986، ص103.

2 – الشورى:51.

3 – محمّد رشيد رضا: **الوحي المحمدي**، (دط)، دار الكتب، الجزائر 1989، ص45.

4 – أبو عبد الله الأنصاري القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (لا معلومات للنشر)، (53/16)

5 – محمّد رشيد رضا: **الوحي المحمّدي**، ص 111.

أمَّا في اليهودية فالوحيُ: فعلٌ من خلاله يُظهر الإله المتواري والمجهول نفسَهُ للإنسان.[1] ويرتبط الوحيُ بالكلام عن التوراة في المقام الأوَّل؛ جاء في موسوعة اليهودية في مفردة: "**إيتاء التوراة** *Giving of the Torah*": " إيتاءُ التوراة، ويعرف كذلك على أنَّه "**الوحي** *Revelation*" هو واحد من اللحظات المفاتيح في اللاهوت اليهودي، مع: " الخلق *Creation*" و"الخلاص *Redemption*""[2]. وأنَّ الشعب –بحسب التناخ– والذين كانوا مذعورين جدًّا من نزول الرَّبِّ، سألوا موسى أن يتلقَّى تمامَ التوراة مباشرةً من الرَّب، وينقلها بتمامها إليهم[3].

وفي مفردة "**الوحي أو التنزيل**": " تعلِّم اليهودية تقليديًّا بأنَّ الرَّبَّ تواصل مع الشعب المختار عبر التاريخ بواسطة الوحي المباشر، بعبارةٍ أخرى: الرَّب، الشريعة والمخطَّط الإلهي أوحي بهنَّ إلى الناس التي تحيا على الأرض. في بداية التاريخ اليهودي، اصطفى الرَّبُّ إبراهيمَ وبقيَّة الآباء وكلَّمهم؛ بعدها كلَّم الرَّبُّ موسى؛ والنبيئون من بعده استقبلوا الوحي كذلك".[4]

وعند اليهود: "التوراة، المكتوبة والشفهية كلتاهما جميعًا تعدَّان موحًى بهما حقًّا..؛ أوحي بالتوراة بواسطة موسى ومن جاء بعده من أجيال لاحقة من النبيئين".[5]

ثمَّ إذا نظرنا في المادة العلمية الواردة في الموسوعة اليهودية *Encyclopedia Jewish*[6] في مادة: "**وحي**" نجد تقسيم الكلام عنه إلى: الوحي إلى الأشخاص، والوحي بالكتاب. الأوَّلُ يتعلَّق بالامتلاء من الروح القدس أو السَوْق منه في إتمام عملٍ مُراد. وأمَّا الوحيُ بالمكتوب المقدَّس فكلُّ ما في قانون الكتب المعتبرة عند اليهود هو موحًى به أو كُتِب بسوقٍ من الروح القدس؛ مع تمييز الكتب الخمسة لموسى عليه السلام عن بقية القانون – والتي هي التوراةُ بالمعنى الحقيقي الخاص– فهي في أعلى مراتب الوحي؛ حتَّى إنَّه من علمائهم من يرى وحيية الفقرات التي تتحدَّث عن موت موسى عليه السلام

1 - ***Encyclopedia of Judaica***, (17/253)
2 - ***Encyclopedia of Judaism***, P 178.
3- See : ***Ibid***, P 178.
4 - ***Encyclopedia of Judaism***, P 425.
5 - ***Encyclopedia of Judaism***, P 425.
6- See all of that in : ***Jewish Encyclopedia*** ; on its website: https://www.jewishencyclopedia.com/articles/8126-inspiration.

في آخر سفر التثنية، وأنَّهنَّ أوحي بهنَّ إلى موسى، الذي كتب التوراة بإملاءٍ من ربِّه؛ وعلى ذلك تحدَّثوا عن مراتبَ للوحي.

وما سوى مرتبة الوحي بالكتب الخمسة فإنَّ البقية تنازليةٌ في مستوياتِ كيفيَّةِ الوحيِ، وحجِّيَّته كذلك. وعلى ذلك كان الأثر تفصيليًّا وتفاضليًّا في عرض الوحي في علاقته بوثاقة النَّص والدفاع عنه؛ حيث استعرضوا الأمر من القديم إلى الرؤية المعاصرة، والتي لا تنزع صفة الوحي والحجِّيَّة للنَّص؛ وإن كانت تجادل في بعض الكيفيَّات أو الوثاقات التي ثبت خلاف بعضها لما كان سائدًا قديمًا.

وأمَّا في المسيحيَّة، فقد وردت فيه تعاريفٌ متقاربةٌ، منها ما جاء في قاموس الكتاب المقدّس من أنّ الوحيَ: إبلاغُ الحقِّ الإلهي للبشر بواسطة بشرٍ؛ وهو عمل الرّوح القدس. فالرُّوح القُدُسُ يعمل في أفكار أشخاصٍ مختارين، وفي قلوبهم؛ ويجعلهم أداةً للوحي الإلهي." [1]

وورد في في معجم الإيمان المسيحي – في مفردة " **إلهام** " – قولُهُم: " عملٌ إلهيٌّ يحمل بعض المؤلّفين على الكتابة؛ ويوجّههم بلا خطأٍ في عملهم لكي ينقلوا إلى البشر ما يريده الله أن يعلّمهم. وبهذا يقال: "إنَّ الرُّوح القدُسَ هو النَّاطقُ بالأنبياء"".[2]

وورد في *Initiation Biblique* –وهم كاثوليك– نحوُ هذين التعريفين[3].

أمّا عن كيفية الوحي، فقد قال القس: "**ميخائيل مدني**": "لم تتمسّك الكنيسةُ المسيحية مطلقًا بما يُسمَّى بالنّظرية الميكانيكية أو الآلية للوحي؛ رُغم أنَّ ذلك قد أُلصِق بها مرارًا من قبل العصريّين. فإنَّ كُتَّاب الأسفار المقدّسة لم يكونوا كآلاتٍ كاتبةٍ؛ بل إنّهم احتفظوا بكلِّ مزاياهم؛ وبقُوا يمارسون قِواهم العقليَّة – مع أنّهم كتبوا أو تكلَّموا وهم مسوقين بالرّوح القدس– ويمكن ملاحظةُ أساليبهم الخاصّة بكلّ وضوحٍ في كلِّ كتاباتهم؛ فإذا

---

1 – قاموس الكتاب المقدّس، ص 1020.

2 – صبحي حموي اليسوعي: **معجم الإيمان المسيحي**، ط1 دار المشرق بالتّعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت 1994، ص 62.

3 - ***Initiation Biblique: Introduction a l'etude des sainte écritures*** , Publié sous la direction de A. Robert et A.Tricot , société de Saint Jean l ' evangiliste imprimeurs du saint siége et de la sacrée congregation des rites , Paris , France, P 15.

كانت لغتهم الأصليَّةُ عبريةً فإنَّهم كتبوا بالعبرية؛ وإذا كانت يونانيةً فإنَّهم كتبوا باليونانية. وإذا كانوا مثقّفين، فإنّهم كتبوا كأناسٍ ذوي ثقافةٍ عاليةٍ؛ وإذا كانت ثقافتُهُم قليلةً، فإنَّهم كتبوا –حسب مقدرتهم– بأسلوبٍ يعبِّر عن محدوديةِ ثقافتهم"[1]. ونرجئ التعليق على كيفية الوحي التي ذكرها القس إلى العنصر الموالي المتعلِّق بالعصمة.

2.2. الخلاصة:

من خلال المادة سابقة السوق، يمكننا أن نلحظ أنَّ ثمَّة معنًا مشتركًا بين اليهودية والمسيحية والإسلام للوحي، يتعلَّق بالإعلام بمراد الإله من عالم الغيب؛ وذلك وفق إيماننا كمسلمين بأنَّ الله تعالى أوحى إلى النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم كما أوحى إلى النبيئين من قبله، ومنهم موسى عليه السلام وبني إسرائيل، إلى عيسى عليه السلام. ثمَّ تحدُثُ فروقاتٌ في تدقيق المعاني في كلِّ دينٍ ممَّا سبق بحسب ما يركِّز عليه الأتباع في صياغة الفروق: إمَّا لإظهار التميُّز، أو تضمينًا لردٍّ على اعتراضٍ، أو لإظهار الاتِّساق مع خصائص الدِّين ... الخ.

اليهودية تركِّز في عرضها لمفهوم الوحي على الوجود الإلهي في التاريخ البشري وتاريخ شعب الرَّبِّ بشكلٍ أساسٍ؛ والمسيحيةُ تركِّز على تغيُّر الوحي بشكلٍ ما، بالانتقال من المخاطبة بالأنبياء إلى تجسُّد الرَّب، والانتقال من الشريعة إلى النِّعمة؛ فيما الوحيُ في الإسلام هو هو، لم يتغيَّر من أوَّل نبيٍّ إلى خاتمهم، سنَّةً إلهية ماضيةً؛ قضى الله أن يمتحن عباده بالإيمان بالغيب، ولا سبيل إلى اطِّلاعهم على عالم الغيب إلَّا ما أذن فيه، وأخبر عن مراده بنورِ الوحيِ، فحيث كان نورٌ منه علمنا، وحيث غاب لم نعلم.

3.2. العصمة:

وأرى هنا إيراد كلام جميل للشيخ رشيد رضا وهو قوله أنّه: "إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم ويستعدُّون به لحياةٍ أعلى من هذه الحياة الدُّنيا في نشأة أخرى؛ فلا يتمُّ هذا الغرضُ ولا تتحقَّقُ هذه الحكمةُ إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلًا لأن يُقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشَّرائع والآداب التي يبلِّغونها عن رَّبِّهم؛ ومن ثمَّ قال علماؤنا بوجوب عصمة

1 – القس بسّام ميخائيل مدني: **وحي الكتاب المقدّس**، ط2، 1980 (دب)، ص38.

الأنبياء من المعاصي والرَّذائل؛ وبالغ بعضُهُم فيها حتَّى قالوا بعصمتهم من الذُّنوب الصغائر كالكبائر، قبل النّبوة وبعدها؛ وخصَّ بعضُهُم العصمةَ من الصَّغائر بما كان باعثُه الخِسَّةُ والدناءةُ"[1].

والبحثُ هنا في العصمة ننطلق فيه من كون الأنبياء بشرًا؛ والبشرُ فيهم من الصِّفات والأخلاق ما لا يمكن معه الأخذ بيقينٍ عنهم، ولذلك عصم الله تعالى أنبياءَهُ حتَّى يمكن الأخذُ عنهم ما أراد تعالى إخبارنا وأمرنا به؛ وكلام الشيخ رضا السابق السوقِ مختصرٌ مفيد، ونودُّ تفصيلَه؛ ولم أجد أحسن من تفصيل القاضي عياض في "**الشفا**" حيث بدأ أوَّلًا بسوق طائفةٍ من الآيِ في بيان بشرية الأنبياء والرُّسل ليخلص إلى القول بأنَّ: "ظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متّصفة بأوصاف البشر، طارئٌ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية"[2].

ثمّ تحدث عن عصمة الله لهم من خلال أقسامٍ ثلاثةٍ وهي: عقدُ القلبِ، وقولُ اللسانِ، وعملُ الجوارحِ.

القسم الأوّل: عقد القلب؛ فبيّن فيه أنَّه من وقت النّبوة كلُّ ما تعلَّق منه بطريق التّوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به، وبما أوحي إليهم، فعلى غاية المعرفةِ، ووضوح العلم واليقين، والانتفاءِ عن الجهل بشيءٍ من ذلك أو الشّك أو الرّيب فيه؛ وبيّن أنّ هذا مجمع عليه[3].

وأمَّا قبل النُّبوَّةِ، فبيَّن أنَّ للناس فيه خلافٌ؛ وصوَّب –هو– أنَّهم معصومون كذلك منه؛ ثمّ قال:" أمَّا ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنّها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنّها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدّين والدّنيا ما لا شيء فوقَه" [4].

---

1 – محمّد رشيد رضا: **الوحي المحمّدي**، ص50-51.

2 – القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، وبذيله مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد بن محمد التميمي (دط) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (دت).

– محسن عبد الحميد: **تجديد الفكر الإسلامي**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتّحدة الأمريكية 1996، (2/ 95-150).

3 – المرجع نفسه، (97/2).

4 – المرجع نفسه، (115/2)

وبيَّنَ أنَّ ما تعلَّق منها بأمور الدُّنيا، فلا يشترطُ في حقِّ الأنبياء العصمةُ من عدم معرفتهم ببعضها؛ أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه؛ وأمَّا أمور الدِّين فلا يصح منهم[1] الجهلُ بشيءٍ من تفاصيل الشرع الذي أمروا بالدعوة إليه؛ إذ لا تصحُّ دعوتُهُم إلى ما لا يعلمونه؛ وبيّن أنَّهُ لا يشترط العلمُ بجميع تفاصيل الغيبياتِ.

القسم الثاني: الأقوالُ؛ فذكر فيه أنَّ الأمَّةَ أجمعت فيما كان طريقُهُ البلاغ أنَّ النَّبيَّ معصومٌ فيه من الإخبار عن شيءٍ منها بخلاف ما هو به؛ لا قصدًا ولا عمدًا؛ ولا سهوًا ولا غلطًا.

وأمَّا ما ليس سبيلُهُ البلاغُ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام، ولا أخبار المعاد، ولا تضافُ إلى وحيٍ؛ بل في أمور الدُّنيا، وأحوال نفسِهِ؛ فالذي يجب: تنزيهُ النَّبيِّ عن أن يقع خبرُهُ في شيءٍ من ذلك بخلاف مَخْبَرِهِ؛ لا عمدًا، ولا سهوًا، ولا غلطًا؛ قبل النُّبوَّةِ وبعدَهَا[2].

القسم الثالث: عملُ الجوارحِ؛ فذكر[3] أنَّ المسلمين أجمعُوا على عصمة الأنبياءِ من الفواحشِ والكبائرِ والموبقاتِ؛ وكذلك لا خلافَ أنَّهُم معصُومون من كِتمان الرِّسالةِ، والتَّقصيرِ في التَّبليغِ؛ والجمهورُ قائلٌ بأنَّهُم معصُومون من ذلك من قِبَلِ اللهِ؛ معتَصِمُون باختيارِهِم وكسبِهِم.

وأمَّا الصّغائرُ، فجوَّزَهَا جماعةٌ من السلف وغيرِهِم على الأنبياء؛ منهم: أبو جعفرٍ الطبريُّ؛ وطائفةٌ قالت بالعصمة؛ وطائفة توقفت. قال: "وقال بعض أئمَّتِنا: ولا يجب على القولين أن يختلف أنَّهُم معصومون عن تكرار الصَّغائر وكثرتِها، إذ يُلحِقُها ذلك بالكبائر؛ ولا في صغيرةٍ أدَّت إلى إزالة الحِشمة، وأسقطتِ المروءَةَ، وأوجبت الإزراءَ والخساسَةَ، إجماعًا"[4].

---

1 – إنّ كلام القاضي عياض يقصد به أساسا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم ثمّ الأنبياء عموما ولذلك تجده تارة يسوق الكلام بلفظ المفرد الغائب وتارة أخرى بلفظ الجمع الغائبين، ولكنّي حوّلت كلامه كلّه إلى جمع الغائبين.

2 – المرجع نفسه، (123/2).

3 – المرجع نفسه، (143/2–147).

4 – المرجع نفسه، (143/2)

ثمَّ اختتم: "وأمّا عصمتُهُم من المعاصي قبل النُّبوَّة ففيه اختلاف؛ وأمَّا السهو في الأفعال والنِّسيانُ، فما كان من بلاغ الشَّرع فقولان؛ ومن جوَّزَهُ قال: إنَّ الأنبياءَ لا تُقَرُّ على خطئِهَا"[1].

وأمَّا في اليهودية فقد مرَّ معنا مراتب الوحيية بحسب الموحى إليهم، وهي تقتضي عدم الخطأ، وأمَّا في المراتب الأخيرة من سُلَّم مبلِّغي الوحي فيقول "يهوذا لايف *Yehuda Lave*" في تدوينته التي يشرح فيها طبيعة مكانة معلِّم التوراة والحكماء السامقة ومبرِّزاتها: "ليس في اليهودية ما يقابل المعتقد الكاثوليكي للعصمة البابوية. ثمَّة فصلٌ *Tractade* كاملٌ في التلمود يُدعى: "هوراوت *Horiut*" اعتنى بتقرير أنَّه حتى أعضاء السنهدرين قديمًا، وكبار الرابانيّين في ذلك الزمان جاز عليهم الخطأ، حتَّى في مسائل الشريعة (المسائل الهالاخية)".[2]

بقي أنَّ الكلام عن عصمة الموحى إليه في أنفسهم – لا في بلاغ الوحي– فنجد في التناخ فقراتٍ ونصوصًا كثيرة تُعارضها في أنفسهم، وتحتاج إجاباتٍ جدِّيَّة من اليهود.

أمَّا في المسيحيَّة، فذُكِرَ في معجم الإيمان المسيحيفي مادة "**عصمةٌ من الخطيئة** " قالوا: " صفة الطبيعة الكاملة التي لا تخطئ؛ تُنسب هذه الصّفة إلى الله أوّلا، ثمّ إلى الخلائق الرّوحية المثَبَّتة في النّعمة، وهم الملائكة بعد المحنة، وإلى البشر المختارين بعد الموت." [3].

والحقُّ أنَّ كيفية الوحي التي يذكرها النّصارى، مضطربٌ كلامُهُم فيها؛ خاصَّةً حين يدلّلون على عصمة الوحي من التّحريف أو في معرض ردودهم على الاختلافات الواردة في كتبهم، ذلك أنّه لا يستقيم عند العقلاء أن يكون الروح القدس سائقًا للكاتبين أن لا يخطئوا، ثمّ توجد الأخطاء، وكذلك لا يستقيم الأمر من ادّعائهم عمل الرّوح القدس مع ما يصفونه من عمل الكاتب في تأليف كتابه الذي لا يختلف عن عمل المؤرّخ الذي

---

1 – المرجع نفسه، (147/2)

2 - Yehuda Lave**: *Judaism has no equivalent to the Catholic doctrine of papal infallibility*;** on his blog at the following website: THE TIMES OF ISREAL, Link as follow: https://blogs.timesofisrael.com/judaism-has-no-equivalent-to-the-catholic-doctrine-of-papal-infallibility/

3 – معجم الإيمان المسيحي، ص 329.

يجمع الوثائق التّاريخية ثمّ يمحّصها ويدقّق فيها باجتهاده، ثمّ يكون عمله عرضةً للقبول وللرّد، وقد نقل أصحاب ***Initiation Biblique*** عن ليون الثالث عشر ***Leon 13eme*** وصف عمل الكاتب بأنَّه[1] "يبحث عن وثائق مكتوبة، ويستند إلى شهودٍ، ويبذل المجهودات اللازمة في تكوين مؤلّفه، وفي كلِّ ذلك الرَّبُّ يدفعه ويعينه إلى إنهاء عمله تامًّا".

وبتتبّعِ دين المسيحيّين وكتبهم نجد عمليًّا وفعليًّا – لا نظريًّا – الآتي:

أ- ما يتعلّق بعصمة الأنبياء: بإيمان النّصارى بالعهد القديم –التناخ- يلزمهم الإيمان بما وقع ذكره فيه من أمور مخزية لا يفعلها إلا من كان من أراذل القوم كزنى لوط بابنتيه[2]، أو زنى داوود، أو إكرام سليمان آلهة الوثنيين حين أمالت النّساء قلبه، وغير ذلك من الأمور القادحة (وهي لازمةٌ لليهود بطريق الأولى).

ب- ما يتعلّق بعصمة الوحي وعدم تحريفه: وهو ما أريد الوقوف عليه أكثر فقد ذكروا أنّ الإلهام: "عمل إلهيٌّ يحمل بعض المؤلّفين على الكتابة ويوجّههم بلا خطأ في عملهم لكي ينقلوا إلى البشر ما يريده الله أن يعلّمهم"[3]؛ وبأنَّهُ "يقود الكتبة بشكل تكون فيه الكلمات أيضا من الله"[4].

وحينها حُقَّ لنا التساؤل عمّا تضمنته كتبهم من مثل قولهم:"من بين المئات من المخطوطات اليونانية للعهد الجديد التي وصلتنا من الصعب أن نجد اثنتين متشابهتين تماما "[5]؛ أو قولهم حول التّعليقات بأنّها:" هوامشُ أو ملاحظاتٌ لقرّاء المخطوطات الكتابية القدماء، أُدخلت أحيانًا، في النَّصِ المقدَّس عن إهمالٍ من قبل النُسَّاخ"[6].

أو قولهم في معجم الإيمان المسيحي، في مادة " **قراءة مختلفة** ": " في مخطوطات العهد الجديد اليونانية أكثر من مئة وخمسون ألفا من القراءات المختلفة،

---

1 - ***Initiation Biblique***, p 15.

2 – تكوين 19: 31- 38

3 – المرجع نفسه، ص 62.

4 – القس بسّام ميخائيل مدني: **وحي الكتاب المقدّس**، ص 10

5- E. Hoskyns / F.N. Davey: ***l' énigme du nouveau testament*** ,traduction de Simon Condennine et FernandRyser 1949, p 37.

6 – معجم الإيمان المسيحي ص 149.

علما بأنَّ معظمها ناتجٌ عن سهو النُسَّاخ، فلا يصعُب إزالتُهُ، لكن هناك بعض المئات تعدُّ هامَّةً، وتمثِّل مختلفَ التَّحقيقاتِ، أو الصِّيغ التي أضفاها النَّاشرون القدماءُ على النّصوص "[1]. وما جوابُهُم عن قبول المجامع للأسفار المقدّسة، شيئًا بعد شيءٍ؛ فيعدُّون كتابًا معيَّنًا منحولًا، ثمَّ في مجمعٍ آخرَ يعدُّونه مقدَّسًا قد كتب بإلهامٍ. حتَّى التَّرجمةُ السبعينية *La septane* المعتبرة عند أكثر النّصارى، طبعاتُها[2] الحالية تتضمّن 54 سفرا للعهد القديم، وتضمُّ نصوصًا (كمزامير سليمان، وسفر عزرا المنحول) لم يقبلها المجمع التريديني في قانون الكتب الملهمة.

ثمَّ قد أقرُّوا بأنَّهُ كان هناك تردُّدٌ طويلٌ أو قصيرٌ، حول بعض الأسفار؛ وانتهى الأمرُ إمَّا برفض بعضها –لأنَّه منحولٌ– وإمَّا بقبول بعضها الآخر على أنَّه قانونيٌّ؛ وفي الكنيسة الكاثوليكية، يطلق لفظ " قانونية أولى " على الأسفار الملهمة، التي قبلت فورا في اللائحة الرّسمية، ولفظ " قانونية ثانية " على الأسفار التي لم تقبل فيها إلا في وقت لاحق، وهي الأسفار التي يرفضها البروتستانت، ويسمّونها منحولة، والتي لم يتّخذ الأرثوذكس في شأنها موقفا رسميا[3].

وإنَّ الأمر لا يتعلّق بالأسفار وحدها، بل حتّى الفقرات، إنّك تجد اختلافا في قبول بعضها وردِّ بعض، وأذكر هنا مثالا هو من إنجيل لوقا الإصحاح الثاني والعشرون، الفقرتان 43 و 44، فذكروا أنّ البروتستانت الأوائل وحتَّى كاثوليكيين، كانوا يشكُّون في صحّة هاتين الفقرتين لأنّهما ساقطتان من المخطوطة الفاتيكانية ومن مخطوطات كثيرة غيرها وذكروا أنّ المجمع التريديني *Concile de trent* (1546) بيَّن جليًّا إلهاميَّتَهما[4].

---

1 – معجم الإيمان المسيحي، ص 374.

2 – المرجع نفسه، ص 257.

3 – المرجع نفسه، ص 367.

4 - Le Christ: ***Encyclopedie populaire des connaissances christologiques*** *publié sous la direction de M.l 'Abbe G.BARDY et de M. L'ABBE A.Tricot.، Bloud et Gay librairie , Paris. france, p247.*

والغريب أنّه ليس عند المسيحيِّين منهجٌ سليم، في نقد الروايات وتمحيصها، بل هو مجرّد الظنّ والتخمين.

ثمّ إنّ ثمّة أمرا يزيد في نفي العصمة عن الوحي في الكتاب المقدّس، وهو طول زمان تدوين الكتاب المقدّس والذي استغرق فيما يقولون 1600 سنة[1]، وكثرة الكتّاب الملهمين الذين دوّنوه، وهم أربعون كاتبا[2]، وكذلك تأخُّرُ تدوين العهد الجديد – والأناجيلُ منه– عن صلب المسيح – بزعمهم– بل وعدم قدرتهم[3] على تحديد زمان كتابتها بدقّة، بل يقرّبون فقط.

ثمَّ أمرٌ آخر وهو أنّه لم يصل إلينا شيء[4] من النسخ الأصلية التي كتبها، هؤلاء الملهمون...وكلّ ما وصل إلينا هو نسخٌ مأخوذة عن ذلك الأصل.

الفرق الوحيد الذي وجد –ومايزال– بين الكاثوليك (كذا الأرثوذكس) وبين البروتستانت هو أنَّ الكتاب عند الأوَّلَين ليس هو الوحيد ذا السلطان والعصمة كمصدرٍ للإيمان؛ بل يضاف إليه التقليدُ كوحيٍ إلهيٍّ، فيما يكتفي البروتستانت بالكتاب *Scriptures* وحدَهُ.[5]

والمسيحية تزيد عن اليهودية في توسيع العصمة إلى عصمة الكنيسة *Infallibility of the Church* أو عصمة الإكليروس *Ecclesiastical infallibility*، والعصمة البابوية *Papal infallibility* عند من قال بها.

2. 4. الخلاصة:

– الحقيقة أنَّ اليهودية والمسيحية والإسلام، كلُّ واحدةً منهنَّ تعتبر العصمة عنصرًا مميّزًا للوحي تشريفًا وتنزيها ووثاقةً وسلطانًا له؛ وإن اختلفوا بعد ذلك في تبريرها والاستدلال لها ومناقشة ضدِّها – دينيًّا أو تاريخيًّا–.

---

1 – قاموس الكتاب المقدّس، ص 762.

2 – المرجع نفسه، ص 762.

3 - L 'abbé H. Lesetre; ***La clef des Evangiles***. Lethielleux libraires – editeur Paris, p 9.

4 – قاموس الكتاب المقدّس ص 763.

5 - See : ***Encyclopedia of Judaica***, (3/664).

– سحبُ العصمة لما سوى النبوَّة والكتاب مسألةٌ زائدةٌ، ومنبعُها هو زوال الحاجز بين البشري والإلهي؛ الذي يكون بمسبِّباتٍ وأحوال وظروفٍ وعواملَ يفرزها تاريخ الفكر الدِّيني في تفاعلاته المختلفة.

– في الإسلام تُمكِن المعاملةُ بيُسرٍ في فرز مقالات سحب العصمة إلى غير حيِّزها، وتوسعتها إلى ما لا عصمة له أو فيه. في اليهودية المشكلة لا في القول بالعصمة، بل إثبات وقوعها لما تناقلته الأجيال عبر عصورٍ وأحقابٍ متطاولة؛ هذا من جهةٍ؛ بل إثبات عصمة النبوَّة من خلال نصوص التناخ قبل ذلك من جهةٍ أخرى. وفي المسيحية يلزمها الإجابةُ مثلَ اليهود في النبوة والتناخ – الذي يسمَّى عندهم بالعهد القديم– لأنهم يؤمنون بذلك؛ ثمَّ يلزمهم مثلُ ذلك في العهد الجديد؛ ثمَّ في التقليد، ثمَّ عصمة الكنيسة والبابوية لمن قال منهم بهذه المقالة.

– الآثارُ المترتِّبة عن العلاقة بين العصمة والوحي لا بدَّ وأن يكون بعضها سنَدًا لبعض؛ بمعنى أنَّه إذا لم يُعصم الوحي – أو في درجةٍ أدنى تطرَّق إليه الإمكان– فإنَّ سلطانه واعتباره ووثاقتَه لاغية.

– الحقيقةُ أنَّ الكلام عن العصمة يتوجَّه إلى مبلِّغ الوحي وأمَّا عصمة الوحي في حدِّ ذاته فالكلام عنها هو في وثاقة النَّص الدِّيني.